بعد ١٩٠٠ يوما من ثورة التصحيح هل تتغير الفن ؟

ما حدث فى السياسة يمكن أن يحدث فى الفن . يعود كل شىء إلى أصوله . هذه الأصول هى روح ثورة التصحيح . إذا دخلت إلى الأغنية فإن الأغنية تتغير . تدخل أيضا إلى كل نشاط فنى ، فيتغير المسرح والسينما والإذاعة . والتليفزيون . ويتغير الفنانون وكل المسئولين عن الفن . المهم أن نفهم ما حدث .

عائشة صالح

●● المتوقع أن يشترك الفنانون فى المعركة بفيلم كبير عن حرب أكتوبر . يتكلف نصف مليون جنيه . وزير الاعلام والثقافة عبد المنعم الصاوى يتحمس للمشروع . نشرت الصحف أن المشروع فى طريقه إلى التنفيذ . وضعت أذنى على نبضات الشعب . ماذا تريد مصر . تقول لكم أن بعض أبنائى حارب . دفع دمه ورحمه . ليس المال أغلى من الدم . فهل يشترك النجوم بجزء من مالهم ، هذا له معنى . انه رمز . ليكونوا مثل الذين حاربوا عبر القناة من أجل مصر .

● لنادر جلال ثلاثة أفلام هذا الموسم ، عندما يسقط الجمد . وفتاة تبحث عن الحب . واخيرا فيلم « امرأة من زجاج » استجاب الجمهور أكثر للفيلم الأخير . وفى نفس الوقت شعر نادر بأنه وجد نفسه . استراح إلى خطواته . الفيلم تعبير عن رغبة الشعب فى أن تظل ارادته حرة . فهو يناضل . ابن الشعب محمود ياسين وكيل نيابة ، يقاوم ضغوط مراكز القوى عليه . مطلوب منه أن يسهم فى ادانة استاذ جامعى ، وتلفق التهم له ، لمجرد انه يعترض على فصل الفضاء وظلك مراكز القوى المتمثلة فى رجل السلطة صلاح نظمى . لم يستسلم محمود حتى آخر لحظات حياته . تجاوب نادر مع رغبة عميقة لدى مصر تقدس ارادتها وحريتها فشعر انه يعمل بارتياح . الذى يجد نفسه كمن يسير فى طريق ممهد . مثل الذى يقف أمام البيت ومعه مفتاح البيت . يستطيع أن يصل إلى الاعماق بسهولة ..

● ليس شباك التذاكر دائما هو الحكم . مع ذلك فإن الشباك يعنى أن عددا من الناس يعنى قطاعا من الجمهور أعجب بالفيلم . بلغ اعجابه انه وضع يده فى جيبه . واخرج النقود . ودفع بها إلى شباك التذاكر وشهد الفيلم . شباك التذاكر يعنى أنه رأى قطاع من الجمهور . أما البحث عن ارادة الشعب فإنها تعنى الشعب كله . ماذا يريد كل الشعب . ودائما نستطيع أن نجد فى أعماق الشعب ما يتفق عليه الشعب . شىء تطرحه للاستفتاء الشعبى العام فيوافق الشعب عليه . اسلوب حياتنا الآن هو أن نطرح القرارات الكبيرة على الشعب . نستفتيه فى انتخاب . أو استفتاء كما يحدث فى انتخابات الرئاسة . كما يحدث فى انتخابات مجلس الشعب . بأن يعطى الشعب اصواته لنواب الحزب الذى يريده . كما حدث فى قرارات رئيس الجمهورية التى اعقبت أحداث ١٨ و ١٩ يناير . وقبلها الشعب وقال لها نعم . فى الفن أيضا صورة . لها ملامح ، فى أعماق الشعب . إذا صدق العزم على أن تصل إليها فسوف تصل إليها . مادمت تريد الشعب فإن الشعب يريدك .. لو حدث استفتاء على الاخلاق وعلى المثل العليا . وعلى الأديان . وعلى الجمال والحق والخير لو خاطبت الروح فى شعبنا هل نجد من يقول لا .

لكن وجود شباك التذاكر أفضل من عدم وجوده . هو مقياس وان كان ناقصا . شباك التذاكر موجود فى السينما وموجود فى المسرح . وليس موجودا فى الاذاعة . ولا فى التليفزيون . ولا فى الفنون المكتوبة أو التشكيلية . موجود فى الاذاعة جهاز يقيس الرأى العام حول أى برنامج يذاع . لعله أيضا يعمل نفس الشىء للتليفزيون .

اما أحسن عشرة أفلام فنيا فهى « مولد يا دنيا » و « الكرنك » والمذنبون ودائرة الانتقام . والابن الضال الذى أخرجه يوسف شاهين وتوحيده الذى أخرجه حسام الدين مصطفى وعالم عيال عيال الذى أخرجه محمد عبد العزيز . ووجها لوجه الذى أخرجه أحمد فؤاد . وفيلم « دنقلب » كما قال عبد المنعم سعد فى كتابه السينما المصرية فى موسم . يقصد موسم ١٩٧٦ .

●● يعنى أن الجمهور والنقاد اتفق اختيارهم معا على ستة أفلام من الأفلام العشرة

المشكلة الأساسية فى الفنانين هى صلتهم بالجمهور . الجمهور فى مصر وصل إلى ٤٠ مليونا فى الأمة العربية ١٢٠ مليونا . هذه الملايين يجمعها شىء . هى أنها فى مصر . وأنهم عرب . هى أن المصريين شعب كائن حى . له كيان . جسم وقلب وفى القلب عقل وإرادة . الشعب المصرى هو صاحب هذه الأرض . وهو صاحب الإرادة فى أن يريد ما يشاء . ويفكر . ودائما هناك فكر مشترك وعقل مشترك وإرادة مشتركة يمكن أن يلتقى حولها الجميع . وهى التى تصنع الروح المصرية . والشخصية بفكرها . وإرادتها وفى وضوح .

ومهمة أى فنان هى أن يكون المعبر عن هذه الإرادة . على الفنان أن يكون ابنا للشعب ينظر إلى الحياة كلها من خلال نظرة الشعب . ومن وجهة نظره .

ولا يقبل الشعب من أى فنان أن يكون تعبيرا عن أى شىء أخر . حتى إنه لا يرضى من الفنان أن يكون تعبيرا عن ذات الفنان نفسه إذا انفصل عن الشعب . الفنان الذى يعبر عن نفسه فقط هو فنان أنانى . ولن يطول به النجاح لأنه سينفصل عن جمهوره .

الشعب كائن حى يريد من أبنائه الموهوبين أن يعيشوا حياته . يغوصون فى أعماقه . يتألمون بآلامه . يفكرون بنفس منطقه . يرون الحياة من وجهة نظره . لا يقبل الشعب إلا أن يكون هو المحور . وهو الهدف . وهو المعشوق الوحيد للفنان . لأن شعبنا كريم . يعطى حتى يذهل الفنان من كثرة ما يعطيه الشعب . كريم فى فكره . وفى عواطفه ، كريم فى تكريم الفنانين وتمجيدهم .. وكما يعطى لا يقبل من الفنانين إلا أن يعطيه كل منهم ما يملك من موهبة ..

بهذا فإن المجتمع الناضج هو الذى يحكمه نظام . النظام هو عقل هذا المجتمع . النظام مثل الهرم . للهرم قمة . هو رئيس هذا النظام .. وهو الذى يمثل إرادة هذا المجتمع كله .. فإذا اختار الشعب رئيسا لنظام ، فإن الرئيس يكون هو المعبر عن إرادة الشعب وليس من حق غيره أن يدعى أنه المعبر عن إرادة الشعب ، ولا يليق أن يتركه الرئيس الشرعى يزيف إرادة الشعب ، فإن إرادة الشعب هى أثمن ما يملك هذا الشعب . وإذا فسدت فسد الأمر كله .. هذا يلقى العبء على الرئيس الشرعى أن يغسل وجه البلاد من كل من يتطاول على الشعب بتزييف إرادته ..

● ليس العمر بالسنوات . إن الحياة دقائق وثوان . لا نقول إن عمر ثورة التصحيح ست سنوات . ولا ٧٢ شهرا . ولا ٣١٢ أسبوعا . لأن عمر الثورة ٢١٩٠ يوما . فى كل يوم ٢٤ ساعة . فى كل ساعة ٦٠ دقيقة . فى كل دقيقة ٦٠ ثانية . لأن ما حدث يمكن أن يتشر . ويحدث التغيير الهائل فى حياتنا . ما حدث هو أن مصر حققت النضج بثورة التصحيح . كيف ؟ .. الثورات مثل الناس . يولد أى إنسان ، ينمو وفيه تمرد . الحياة فى بدايتها متفجرة مثل الحصان الوحشى مثل النهر العاصف . إذا احتملنا التمرد مرحلة فإن

● سهير رمزى فى المذنبون

● عفاف راضى فى مولد يادنيا

● نجلاء ومحمود ياسين فى الوفاء العظيم.

بقاء يدمر الحياة. لا بد أن تفصل الحياة من تردها. لتعود إلى الخط الصحيح. التمرد يكون مثل قطار السكة الحديد الذى لا يرضى بقضبانه فيخرج عنها. إما أن يلتزم القضبان وإما أن ينفع فى كارثة. يبدأ الطفل صغيرا. أولى مراحل التمرد عندما يصل إلى المراهقة. لا يكون ناضجا إلا إذا أسلم عقله إلى النظام الثابت الذى يحمى الحياة. كذلك الثورات. ولدت ثورة يوليو اجتازت طفولتها ثم تمردت على نفسها. لأن مراكز القوى تريد أن تكون هى المعبرة عن إرادة الشعب. وهى أساسا لا تستطيع. لأنها منفصلة عن الشعب. لو استمر هذا التمرد على الحياة لزادت الكوارث. من هنا فإن الرغبات الكامنة فى أعماق الشعب بدأت تعبر عن نفسها. فى إرادة واحدة. هى رغبة منها فى أن تكون إرادتها فى يد السلطة الشرعية التى انتخبتها بنفسها. أما الذين يزيفون إرادة الشعب فلا بد من إزاحتهم عن الطريق. يعنى لا بد من الحساب. مطلب الجماهير هو الحساب. يحاسب كل من أساء إلى مصر. مهما كان المكان الذى يتربع فيه.. من يومها والحساب يصنع أمجاد مصر..

● فى الميزان. أمام العيون. كفة الشيطان راجحة. لكن الحقيقة غير ذلك. يوم بدأ الحساب كانت القوات المسلحة فى أيدى مراكز القوة. ومجلس الأمة. والاتحاد الاشتراكى والجهاز السرى. والمخابرات العامة. ووزارة الداخلية. والحكومة. هذه المؤسسات التى تحكم ميزان القوة فى أيامها. عام ١٩٧١. ويبدو من مرأى العيون أن السادات وحده. كفة فيها الشيطان. وكفة فى مقابلها فيها السادات. بضربة شجاعة أطاح السادات بهم جميعا. لأنه فى الحقيقة لم يكن وحده. لأنه ينفذ إرادة الشعب الذى يطلب التغيير بأن يغسل وجه مصر منهم. وإرادة الشعب من إرادة الله.

●● مانا حدث بالضبط؟. بدون تفاصيل. لأن التفاصيل معروفة. لكن نبحث عن الأصول فيما حدث. لأن السر الذى يصنع الثورة فى حياتنا صنع أمجادنا. ويصنع حاضرنا. وسيصنع مستقبلنا. وفهمنا له بوضوح يتيح الفرصة أمام كل منا أن ينهض بدوره. لا مفر من أن يحمل كل منا مسئوليته يؤدى دوره فى خطة التغيير الشامل الذى بهذا حدثت ثورة التصحيح. أنها باسم الله وباسم الشعب. تنحرى إرادة الشعب ومجدها.. ثم تحدد ملامح المشاكل والعقبات التى فى طريقها وتتقدم فى شجاعة تحاسبها بهدف التغيير. على أن يبدأ التغيير من بدايته الصحيحة. ولا يهرب أحد من مسئوليته. أمجادنا كلها بدأت بهذا.. فى المجال العسكرى. فى المجال السياسى. فى المجال الاقتصادى. فى المجال الاجتماعى. فى المجال الفنى. كيف انتصرنا فى أكتوبر معاركنا العظيمة هى حساب للعدو باسم الله. وباسم شعب مصر والأمة العربية. إرادة الشعب أن يحارب. فقرر الرئيس السادات أن يحارب حدد ملامح المعركة. قبل التحدى فى شجاعة. أعد الخطة ليحاسب بها العدو. أعاد ترتيب الدولة لتكون فى خدمة الهدف. حمل مسئوليته وتقدم وحقق النصر.. فى المجال العسكرى. نمت فى أعماق الشعب إرادة أن تكون له حرية حقيقية. وتقدم السادات حرر إرادة الشعب من قيود الاتحاد السوفيتى. الحرية حق. ولكل منا نفس الحق. هذا يفرض المساواة. خصوصا أمام القانون. وكانت سيادة القانون ولدت الحرية. حرية التعبير. وحرية العمل السياسى. وحرية أن يعمل كل إنسان ما يشاء. وبكسب ما يشاء. ما دام يدفع حق المجموع الذى تمثله الدولة. وتغير المجتمع الذى زال عنه التوتر والخوف. مرت أيام عددها ٢١٩٠ يوما. تجرى حياتنا على طريق التغيير. بنفس الروح التى صنعت ثورة التصحيح. نفس الأصول هى التى أنجزت مانم. وتنجز الآن. وهى التى ستصنع المستقبل. لأنها قانون التغيير فى أى ثورة ناجحة.

● للحق. فإن مثل هذه الثورة يجب أن تكون أسلوب حياة. حياة دولة. وأسلوب حياة لنظام الإدارة كلها. وأسلوب حياة للأجهزة ولكل فرد منا. إن ثورة التصحيح بدأت منذ ست سنوات. لتكون البداية. المفروض أن يلتقط الشرارة نظام الجهاز الحكومى. كل وزير. كل وكيل وزارة. كل مدير عام. كل المديرين. ورؤساء الأقسام والموظفون. يلتزم الجهاز الحكومى كله بثورة التصحيح كأسلوب حياة فى الفكر والسلوك.. أيضا تلتقطها الهيئات والمؤسسات. فى القطاع العام. ثم فى القطاع الخاص. ويلتقطها الأفراد من شعبنا كله.

رئيس الدولة أعد الجيش اتخذ قرار الحرب. زود الجيش بالسلاح. صنع الظروف الدولية المناسبة. وترك رجال القوات المسلحة يؤدون واجبهم فى العبور.. ونجحوا.. فى ثورة التصحيح أيضا بدأ رئيس الدولة. أزاح الشيطان من الطريق. قدم النموذج العملى. نشعر بأن عينه لا تغفل عن الحساب لكل من يسىء إلى الحبيبة مصر..

النظرية واضحة فى كلامه وفعله. الباقى متروك لكل منا، يفكر ويهضم ويتخذ من هذه النظرية أسلوب حياة فى تغيير نفسه.. ستكون النتيجة أن يتغير المجتمع كله.

المجتمع الفنى جزء من الشعب. إرادة أى فنان يجب أن تنحرى إرادة الشعب. لا ينفصل الفنان عن شعبه. إنما يعيش للشعب. يفكر له يعطى من موهبته كل ما يستطيع باسم الشعب. ومن أجله. إذا كانت النية موجودة فإن التنفيذ سهل. إذا تغير القانون تغير الفن نفسه. ستتغير الأغنية. وتتغير الموسيقى. وتتغير الأفكار. وتتغير الأفلام. والمسرحيات. وبرامج الإذاعة. والتليفزيون. هذه مسئولية كل فنان أن يحول نظرية التصحيح إلى أسلوب حياة. أما المعاهد الفنية فإنها مسئولية أكاديمية الفنون. مسئولية وزارة الثقافة. يعنى مسئولية الدولة. أن يتربى الدارسون فيها على هذه النظرية تربية عملية.

● ولا نظن أن هذا يقتل الفن.. العكس هو الصحيح. فإن الفن يتجه إلى الجمهور. ألا يكون الأسلوب الصحيح أن تسأل الجمهور ماذا يريد.. وهذه هى روح ثورة التصحيح أن تنحرى إرادة الجمهور ولا تحيد عنها. بهذا تزيد شعبية الفنان. ويكون له دور فى حياة شعبه يتيح له الفرصة أن يكون بين الخالدين.. ●

● سعاد حسنى أدت بطولات لأفلام عن مراكز القوى.